الطيب الاثر الاب مبارك المتيني اللبناني

للاب بطرس سلامه اللبناني

نشر هذا العنوان وضعت في مجلة « المشرق » العراء (٢٠=١٩٢٢ ص٨٥٢-٨٦٢) مقالاً في ترجمة السعيد الذكر الاب مبارك سلامه احد ابناء رهبانيتنا اللبنانية ومن رجالها الافذاذ . اقتصرت بذلك على اهم ادوار حياته المليئة باجلّ الفضائل والاعمال الخطيرة دون ان اتوسع بابرز ناحية من نواحي تلك الحياة ، هي الناحية التربوية العامة .

لذلك ولمناسبة التذكار السنوي الخامس والسبعين الذي احتفل به في الخامس والعشرين من شهر شباط الماضي ، هذه السنة ١٩٥٦ ، المعهد اللاهوتي الشرقي في جامعة القديس يوسف في بيروت ، لمرور ٧٥ سنة على اللقب والامتياز الذي انعم به البابا لاون الثالث عشر على هذا المعهد ، اذ منحه امتياز جامعة حبرية (Université Pontificale) ، فخوّله الحقّ بان يعطي شهادة الدكتوره (الملفنة) في الفلسفة واللاهوت . وبما ان الاب مبارك سلامه اللبناني المترجم هو بكر الذين حصلوا على هذه الشهادة في المعهد المذكور ، وذلك بدعوة خاصة من اساتذته الافاضل الذين رأوا فيه كل الكفاءة لمثل هذه الشهادة اذ جاز الامتحان الكتابي والشفوي عنها بكل نجاح . لذلك رأيت ان ابين بتقاربي هذا انه كان ذلك التاجر الحكيم النشيط الذي ما اتخذ الوزنة حتى اندفع بكل قواه الى المتاجرة بها فربح وزنات عدة . فاقدم بغيرة لا تعرف الملل ولا تقف بوجهها صعوبة على الاعمال المجيدة في جنب النشْ الرهباني ينشئهُ تنشئةً صحيحة مرتكزة على العلم والفضيلة . واول ما وجه اليه العناية والاهتمام ، هو توحيد الابتداء وتنظيم المدرسة واتقان الدروس ؛ لان ذلك حجر الزاوية في ثقافة الشبيبة الرهبانية التي عليها امل المستقبل . فلننظر نظرة اولى في الابتداء ما هو وكيف كان في الرهبانية .

الابتداء

هو المرحلة او الخطوة الاولى للدخول في الرهبانية . قد فرضته القوانين واقرّه الشرع الكنسي تمحيصاً للدعوة المقدسة . وهو طريقة اختبار او بوتقة

التجربة فيها يُصبّ لمتدى ويُمحص كما يذهب ويمحص الذهب يخرج ذهباً نقياً وسراجاً وهّاجاً في بيت الرب صالحاً لان يسير في طريق الكمال الانجيلي وراء السيد المسيح الى جبل الجلجلة ، جبل التضحية ، مقدماً ذاته بكليتها ، ارادته وجسده وكل شيء له على مذبح المحبة الالهية ، بحفظه المشورات الانجيلية : الطاعة والعفة والفقر الاختياري ، يتمرس بها متصبّاً في الاعمال الروحية ، مباشراً الخدم والاشغال اليدوية . ومدة الابتداء لا تكون اقل من سنة كاملة تامة وهي السنة القانونية تخصص لدرس الحياة الرهبانية وللقيام بالواجبات الروحية فقط . وفي المنظمات الرهبانية تمتد هذه المرحلة بحسب الرسوم ، الى سنتين ، وفي الحالة « التوحدية » الى ثلاث سنوات .

ومنذ تأسيس الرهبانية في لبنان في اواخر الجيل السابع عشر (١٦٩٥) ، كانت تفتح الرهبنة اديارها لطلاب الترهب ، بحيث كان الابتداء في كل دير منها وكانت القوانين القديمة التي اثبتها ببراءة رسولية (١٧٣٢) البابا اكليمنضوس الثاني عشر ، تسمح لكل رئيس دير بقبول المبتدئين وتسمي الرئيس باللغة اللاتينية (Abbas) اي « ابا » او « أباتي » ومن هنا توهم بعضهم ، على ما يظهر ، ان رهبانيتنا « رهبانية توحدية » (monastique) لان القوانين توجب اقامة الخورس اي الصلوات الفرضية باوقاتها والتأمل اليومي وممارسة الاشغال اليدوية داخل الدير وخارجه ، وتفرض المحافظة على الحصن كما يجري في اديار الرهبان « التوحديين » . لقد تمشى المؤسسون على هذه الطريقة مؤثرين حياة التنسك والعزلة على سواها اقتداء بكوكب البرية واب الرهبان القديس انطونيوس الكبير الذي جعلوا الرهبانية تحت حمايته وانتسبوا اليه تيمناً باسمه اذ عرفوا برهبان القديس انطونيوس . غير انهم جعلوا للرهبانية رئيساً عاماً ومجلس مديرين يؤازرون الرئيس العام في ادارة الرهبانية ، وللرئيس العام السلطة على جميع الرهبان والاديار المتعلقة بعضها ببعض تتعاون جميعها وتشترك في سبيل المصلحة العامة ، وتتعلق جميع رؤساء الاديار بسلطة موحدة هي سلطة الرئيس العام ؛ بحيث لا يكون رئيس الدير مستقلاً كما هي الحالة في رهبانية «توحدية». ولذلك كانت الرهبانية تُعتبر « منظمة رهبانية » اكثر منها « توحدية » .

وعلى هذه الخطة نمشت الرهبانية منذ نشأتها حتى الآن اي منذ جيلين

ونصف الجيل بنيف . (١٦٩٥–١٩٥٦) . وكانت وما زالت بعد تثبيت قانونها (١٧٣٢) كما مرّ ، مشمولة بنظر الكرسي الرسولي ورعايته ونظر الاحبار الاعظمين الاسمى ؛ يمدونها بالمساعدات الروحية والمادية وينعمون عليها بالغفارين الكثيرة والامتيازات كغيرها من الرهبانيات الكبرى في الكنيسة المقدسة . ويوجهون اليها الزيارات الرسولية عند الاقتضاء دليلاً على رعايتهم وعنايتهم الابوية السامية .

وفي هذه السنة (١٩٥٦) بعد ان امر المجمع المقدس الشرقي باجراء استفتاء عام في جميع الرهبانيات الشرقية لاختيار احدى الحالتين اي « التوحدية » او « المنظمة الرهبانية » ووقف على غرائض الالتماس المتضمنة نتيجة ما اختاره الرهبان ، اعلن المجمع المقدس نفسهُ : ان رهبنتنا اللبنانية هي « منظمة رهبانية » لا « توحدية » كما أجمع عليه رهبانها . وأظهر اعلانه هذا برسوم كريم مؤرخ ١٦ كانون الاول الماضي ١٩٥٥ تحت رقم ٥٦٦/٥٣ . وتجهه الى حضرة الرئيس العام الاباتي موسى عازار ؛ اليك ترجمته بنصه الحرفي :

ايها الاب الجزيل الاحترام .

اتشرف بان اعلن حضرتكم ان المجمع المقدس الشرقي ، بعد الفحص والتروي وبعد ان اعلن سابقاً ما يجب اعلانه في مثل هذه الظروف ، بواسطة « الزيارة الرسولية واختيار الحالة الرهبانية » ، قرر قبول التماس ابناء رهبانيتكم الذين ارادوا ان ينتسبوا الى رهبانية (لا توحدية) ، بند اول من الارادة الرسولية (Postquam Apostolicis) التي اصدرها قداسة الحبر الاعظم المالك سيدنا .

فبناء على ذلك وبقوة هذه الاسطر ، يعلن المجمع المقدس ان رهبانيتكم هي « رهبانية لا توحدية » كما تقدم القول ، مع جميع الالتزامات والامتيازات المنوطة بهذه الحالة القانونية ؛ سواء اكان ذلك بالنظر الى المجموع ام الى الافراد . ويكون هذا القرار ساري المفعول ابتداء من السابع عشر من كانون الثاني[1] السنة ١٩٥٦ .

وعلى هذا اكرر لابوتكم عواطف احترامي .

الداعي المخلص لابوتكم

ا. كوسا سابون ✝ الكردينال تيسران

---

١) الواقع فيه عيد القديس انطونيوس الكبير وفيه تجدد النذور الرهبانية كل سنة .

... في كل دير من اديار الرهبنة ، ديث تسهيلاً عارف الترهب واتساع عدد الرهبان اذ كانت الحاجة اليهم ماسة في داخل الاديار وفي الخارج . وكان قد اعلق باب الابتداء في الرهبنة مدة سنوات لظروف قاهرة . فلما تسلم الرئاسة العامة المغفور له الاب مرتينوس سابا النطاوي في السنة (١٨٧٥ – ١٨٩٠) امر المجمع الشرقي المقدس بتوحيد الابتداء وتعيين دير له . فتعين دير مار جرجس الناعمه قرب الدامور . وعين الاب مبارك المترجم (١٨٨٤) معلماً للمبتدئين ، وكان ذلك غاية ما تمناه ، اذ تمكن من ان يبدأ بعمله التربوي الذي جعله هدفاً له طيلة حياته الرهبانية . واضطر في بادئ الامر ، الى قبول المبتدئين في دير سيدة طاميش مدة الى ان اصبح دير مار جرجس الناعمه المذكور ، مجهزاً ومعداً لقبولهم . فاتى بهم اليه وكان يرعاهم بعين يقظى وعيرة لا تعرف الملل ، يشربهم روحه الطيبة ويرشدهم بالقول والمثل . واستمر على هذه الخطة نحو ثلاث سنين ، تخرج فيها على يده عدد غير قليل من الرهبان الناذرين الذين كانوا يثقون به كل الثقة ، لما كان يغمرهم به من عناية ابوية وبذله من المفاداة في سبيل رقيهم روحياً وادبياً . ولما رأى ان فئة منهم معدة لتلقي العلوم ، سأل الرئيس العام الاب مرتينوس سابا ، ان يسمح له بان يكون استاذاً وراعياً لهم ، فلم يوافق على ذلك لبعض صعوبات . فاخذ الاب مبارك على عاتقه تسهيل تلك الصعوبات وصعد بالاخوة الناذرين الى دير مار موسى الحبشي قرب بعبدات ، حيث تولى بذاته تدريسهم اللغات العربية والافرنسية وبعض مبادئ اللاتينية . ومع مهمة التدريس هذه الشاقة والاهتمام بالرهبان الدارسين الموكول امرهم اليه ، كان يتعاطى اعمال الرسالة لدى الاقتضاء ، في القرى المجاورة .

المدرسة الرهبانية في تطورها

قبل الخوض في البحث عما اتاه رحمه الله ، من الاعمال والجهود الجبارة في سبيل النهضة العلمية في الرهبنة لدن تسلمه رئاستها العامة ، يحسن بنا ان نرى ما كانت عليه المدرسة الرهبانية في ذلك العهد . ولا يتناول كلامنا هنا المدارس الابتدائية التي اعتادت الرهبنة منذ نشأتها ، ان تقيمها قرب كل دير انشأته او تسلمته[1] ،

١) الاب لويس بلّيبل : تاريخ الرهبانية ، مجلد اول بحث ١٢ ص ٣٢٤ .

لاجل تعليم الاحداث مبادئ اللغتين العربية والسريانية والتعليم المسيحي وبعض القواعد الحسابية ، مما كان كافياً لحاجة الانسان وقيام معاشه في تلك الايام. وبهذه الطريقة كانت تعمر القرية اللبنانية بالايدي العاملة على حرث الارض وزراعتها ومزاولة بعض المهن والصناعات بحيث كان لبنان راتعاً بالطمأنينة والامن ، يعيش شعبه بروح الاخاء وحسن الجوار ، عاكفاً على العمل ، بعيداً عن السياسات الحُرقاء ، قانعاً بعيش بسيط هني ، فصح فيه المثل القائل : « فلاح مكفي امير مخفي » كما قيل : « هنيئاً لمن له مرقد عنزة في لبنان » . وفي تلك المدارس على بساطتها وتلقينها « بمدرسة تحت السنديانه » ، قد نشأ رجال افذاذ قاموا باجلّ الخدم في جنب الدين والدنيا. وقد اتينا على ذلك بمقال في «المشرق» الاغر (٣٠ : ٣٢٠) تحت هذا العنوان : « الرهبانية والعلم » .

على ان الرهبنة ، رغم الصعوبات الكثيرة ، لم تكن لتحجم عن ان تجاري التيار العصري من الناحية العلمية . فانها ، مع محافظتها على مدارسها الابتدائية ، قد حوّلت اهم اديارها كدير مشموشة وميفوق وبيت شباب وعشاش ، الى معاهد تضاهي المعاهد الكبرى في البلاد وتضم الناشئة على اختلاف الطبقات والطوائف ، وتشربها روح الاخوة والوطنية الحقة وتغذيها مواد العلم الصحيح المرتكز على مبادئ الدين والاداب السليمة ، ليكون منها رجالٌ اشداء امناء في حق ربهم ووطنهم .

لقد مرّ بنا الكلام على ان الابتداء لم يكن محصوراً في دير واحد ، كذلك المدرسة الرهبانية لم تكن موحدة في اول عهدها ، بل كان كل دير من الاديار الجامعة يضم عدداً من الاخوة الدارسين يتلقون السريانية والعربية ومبادئ الحساب البسيطة كالجمع والطرح والضرب والقسمة ثم اللاهوت الاذبي وبعض قضايا في اللاهوت النظري . وكان ذلك يبدو كافياً في تلك العصور لان ثقافة البلاد لم تكن تتجاوز هذا الحد من المعارف . وكان الرهبان يؤلفون الفئة الراقية بين مواطنيهم ، ويقومون بمهمة التدريس والتثقيف شأن الرهبان الغربيين في القرون الوسطى ، وفي القرون التي سبقت الثورة الفرنسية ١٧٨٩ .

على انه لما احتك الشرق بالغرب فكانت البعثات العلمية اليه ، وقدم المرسلون الغربيون الينا واخذ لبنان بالثقافة الغربية ولا سيما الفرنسية ، اضطرت

رهبانيته الى رفيع مستوى [illegible] ارسال فئة من ابنائها الى مدرسة الآباء اليسوعيين في عينطورة حيث درسوا [illegible] ساما الماقوري العامة ١٨٤٥ – ١٨٤٧ والآباء افرام حمصي (١٨٦٢ – ١٨٧٤) ومرتينوس ساما العسطاوي (١٨٧٥–١٨٩٠) . ومن ذاك الحين انقسمت المدرسة الرهبانية قسمين :

اولاً : المدرسة في اديار الرهبانية

تقرر دير مار قبريانوس كفيفان اول مدرسة رهبانيـة نظامية على طراز تلك الايام سنة ١٨٠٨ برئاسة الاب سمعان الخازن العامة (١٨٠٥–١٨٠٨) وكان الدارسون ، مع ممارستهم جميع فروضهم الدينية وصلواتهم الطقسية ومباشرتهم الاشغال اليدوية في داخل الدير وخارجه ، يتقنون اللغتين العربية والسريانية وعلم اللاهوت الادبي وبعض القضايا الهامة من اللاهوت النظري . ومن اساتذة هذه المدرسة الاباء نعمةالله كساب الحرديني[1] بعـد ان تخرج فيها تلميذاً المعروف بقديس كفيفان ، ونعمةالله القدوم الكفري ، وخايل غوش التنوري . .

وقد تخرج في هذه المدرسة من سنة ١٨٠٨–١٨٧٤ نحو من مئتين وستين كاهناً منهم الاباء : نعمةالله كساب الحرديني الشهير والاب شربـل مخلوف بقاعكفرا المعروف بقديس عنايا الذي تتلمذ للكفري وشهد دفن الحرديني اذ كان دارساً . واغناطيوس بليبل الذي رئس الرهبانية مدة ٢١ سنـة (من سنة ١٨١١–١٨٣٢) وانطونيوس القفالي الذي امتاز باللغة العربية وألف فيها ارجوزة ما زالت خطأ . وكراساً مطبوعاً لاوزان الشعر ومعجماً باللغة الدارجة. ثم كتاب الزيارة لراحة الانفس المطهرية – وقـد جدد طبعه هذه السنة (١٩٥٦) حضرة الاب المحترم بطرس ساره – ومنهم الاب بطرس البجدرفلي الاول الذي جلب مكتبة الاباء القديسين (باترولوجي) باجزائها الكاملة (Patrologie Migne) وهي لا تزال باقية في الدير ، ويواصاف الجاجي ، وانطونيوس حنا المشمشاني وسواهم ممن تقلبوا باهم الوظائف الرهبانية .

ثم انتقلت المدرسة من دير كفيفان سنة ١٨٧٤ – ١٨٩١ برئـاسة الاب

---

١) المشرق ٥ (١٩٠٢) ص ٦٠٥ : زهرة لبنان في ترجمة راهب كفيفان .

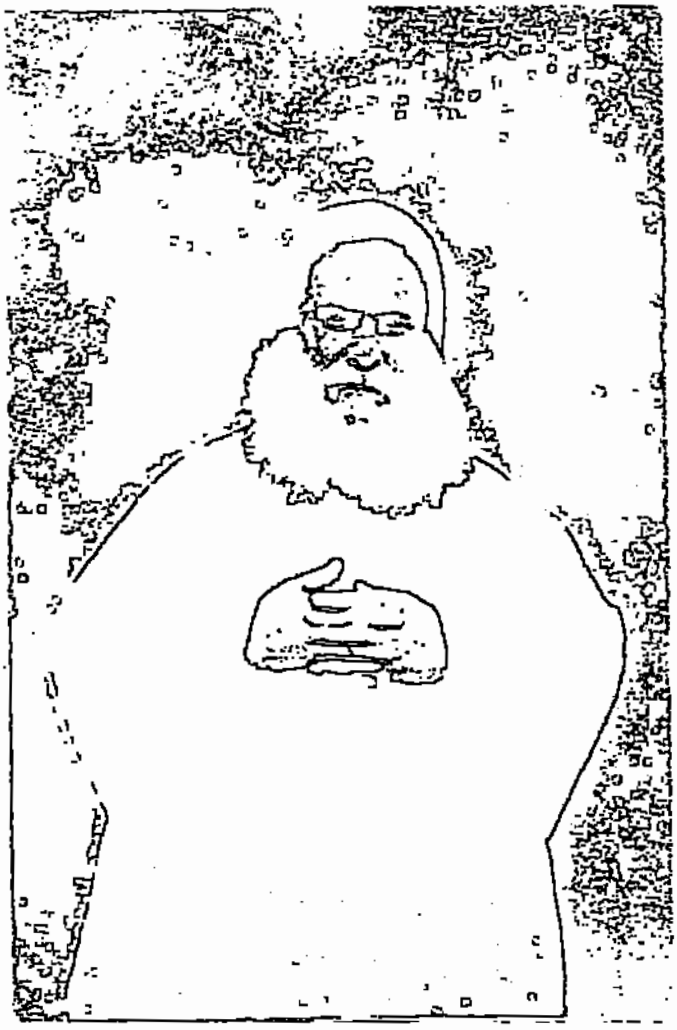

الطيب الاثر

الاب سارلا تلميذ الراهب الثاني (١٨٥٢-١٩٢٢)

وسلمه حسن باشا قصد ... عكا ... حسن باشا الى بيروت ... الامير يوسف وسو عمه قد رحلوا منها الى حمص ... رسل الى الامير يوسف يطلب منه الاموال السلطانية المكسورة عنده عن ست سنوات . من حين ما تولى الشيخ ظاهر العمر على صيدا . فاجاب الامير يوسف انه في هذه السنين صرف اموالاً كثيرة على العساكر في قتال الشيخ ظاهر والمتاولة . وانه دفع الى عثمان باشا واولاده بقية الاموال المكسورة. وزور وصولات في ذلك وارسلها اليه مع كتابات لطيفة وهدايا فاخرة . وسأله ان يكف احمد باشا الجزار عن التعدي عليه . فصار ذلك مقبولاً عند حسن باشا . وارسل الى الامير يوسف كتاب الرضى والامان وطلب منه ان يرسل اليه مئة الف قرش فقط ، ليكي يرسل اليه وصل الخلاص ، ويقرره على ولايته . فجهز له الامير يوسف المطلوب وارسله اليه . فتسلمه وارسل اليه التقرير على حكم بلاد الشوف والبقاع وبيروت وجبيل . وان لا يكون لاحمد باشا الجزار سلطة عليه الا في ايراد الاموال السلطانية لا غير . ثم توجه حسن باشا راجعاً الى عكا . وفي وصوله امر بقتل احمد آغا الدنكزلي متهماً اياه بعدم المحافظة[1] . وكان ذلك وفاء عن سعيه المذكور في نوبة الشيخ ظاهر العمر . وكان احمد باشا الجزار قد ابتدأ بعين العساكر عنده . فحضر اليه نحو ستمئة خيال قبيس ، فاستخدمهم . واقاموا عنده . وكان بعد رجوع حسن باشا قبطان من بيروت ، ارسل ضبط مداخيلها . وارسل الى الامير يوسف يطلب منه المال السلطاني عن تلك السنة . وارسل خيل القبيس الى بيروت . ولما بلغ الامير يوسف مسير عسكر الجزار من

---

١) ثم رفع حسن باشا رأسه قليلاً والتفت الى الدنكزلي وقال له : من اي بلاد من المغرب انت ؟ – قال له من ناهرت . – فقال له : وما كانت صنعتك هناك ؟ قال له : كنت حطاباً بقلعي . – قال له حسن باشا : وكم سنة صار لك في خدمة ظاهر ؟ اجابه : ما يزيد عن اربعين سنة . – قال له الباشا كم كان دخلك منه ؟ – اجاب الدنكزلي : كان دخلي في اول سني خدمتي عنده قليلاً . ولكن لم يكن يقل عن مئتي كيس في ولاياتي . . . فقال له حسن باشا : تأكل خبز انسان اربعين سنة ودخلك منه هذا المقدار وتغضب سيفك بدمه ! ينتقم الله مني اذا كنت لا انتقم منك لظاهر . – ثم امر من كان في حضرته من ملازميه فاخذوا الدنكزلي فخنقوه ورموه في البحر . فكان هذا اليسر جزاء خيانته لمولاه . (تاريخ ظاهر العمر) .

مرتينوس سابا الغوسطاوي العامة ، الى بعض الاديار كالقطارة وميفوق وقرطبا وما موسى الدوار والناعمه . ثم عادت الى كفيفان سنة ١٨٩١–١٨٩٩ برئاسة الابوين مبارك سلامة المتيني ومرتينوس الدرعوني العامة ، وكان اول رئيس للمدرسة في هذه الحقبة الاب اسطفان صقر النتاعلي من خريجي جامعة القديس يوسف وكان يدرّس فيها اللغتين العربية والفرنسية . ثم خلفه الاب متى نادر كفرزبنا ثم الاب الياس المشمشاني ، ثم الاب ليباوس داغر التنوري كلاهما من خريجي الجامعة المذكورة . ثم الاب نعمة‌الله الكفري — وكانت مواد التدريس العربية والفرنسية والسريانية وبعض مبادئ اللاتينية نذكر من تلاميذها الآباء مبارك ثابت الديراني وابراهيم حرفوش البكاسيني ويوسف حبيقه البكنتاوي وبطرس ساره البتروني وجبرائيل مجلي السرعلي .

وفي السنة ١٨٩٩ تحول دير كفيفان الى دير الابتداء ، بامر المثلث الرحمات السيد البطريرك الياس الحويك الذي كان زائرًا على الرهبانية ، فانتقلت المدرسة الى دير سيدة النصر — نسبيه غوسطا وتولى ادارتها الاب اسطفان صقر ، ثم بعد مدة ، الاب مبارك سلامه المترجم .

وفي اوائل الحرب الكونية الاولى في خريف السنة ١٩١٤ ، انتقلت المدرسة الى دير سيدة المونات - جبيل . وانضم اليها الاخوة الدارسون التابعون صفوف جامعة القديس يوسف في بيروت والمقيمون في ديرهم مار انطونيوس القريب من الجامعة ، وترك هذا الدير منزلًا لحضرة الآباء اليسوعيين الذين اخرجتهم الدولة العثمانية قهرًا من جامعتهم واحتلتها الدولة كل مدة الحرب (١٩١٤–١٩١٨) . وفي اثناء الحرب (١٩١٧–١٩١٩) ، انتقلت المدرسة الى دير مار سركيس وباخوس - قرطبا . وكان مديرها واستاذها الاب نعمة‌الله ابي ناضر البكنتاوي احد خريجي جامعة القديس يوسف ومن اساتذتها . .

ولما وضعت الحرب اوزارها ١٩١٩ عادت المدرسة الى دير سيدة المونات واستمرت فيه حتى السنة ١٩٤٤ ومنها ، لبعض ظروف كانت تتنقل بين هذا الدير (سيدة المونات) ودير سيدة نسبيه وسيدة ميفوق (١٩٤٧–١٩٤٩) . وفي هذه الحقبة (١٩١٤–١٩٤٩) اي مدة ٣٥ سنة قد تخرج فيها من الآباء من لا يقل عددهم عن المئتين والعشرين كاهناً ، يقوم اكثرهم بالادارة الداخلية في

الاديار وبخدمة الرعايا في الاديار و مراكز رهبانية او في الخارج ، ومنهم من يتعاطى اعمال الرسالة .

وكانت الرهبانية تفكر في توحيد مدرستها هذه والتمست من المجمع المقدس للكنيسة الشرقية ، الاجازة بذلك فتنازل الى قبول الطلب . وتمكنت الرهبانية ، برئاسة حضرة الابتي يوحنا الغنداري العامة ، (١٩٤٤ – ١٩٥٠) ، من الاقدام على وضع الحجر الاساسي وانشاء معهد الروح القدس في محلة الكسليك - صربا - جونيه . وذلك على هندسة عصرية فخمة مستوفاة الشروط الصحية ، وضع تصميمها المهندس الشهير انطوان ثابت . وقد كلف هذا المعهد نفقات باهظة قامت بها الرهبانية بجميع اديارها ومراكزها . ولا بدّ لها من بذل المبالغ الطائلة لاتمام مشروعها هذا وفقاً للتصميم الهندسي الموضوع له ، اذ يلزمه تشييد الكنيسة وبناء الطابق العلوي الاخير ، وتمهيد ساحاته وتنظيم دوره الى غير ذلك من لوازم الهندسة .

وفي ابتداء السنة المدرسية ١٩٥٠ بطلع رئاسة الاباتي موسى عازار العامة فتح المعهد المذكور ابوابه . وهو يضم الآن بجناحين منفصلين فئة الرهبان الدارسين الذين لا ينقص عددهم عن الثانين دارساً . ثم فئة الاولاد طلبة الترهب البالغ عددهم مئة طالب . يتلقن جميعهم مواد الدروس الابتدائية والثانوية حتى البكالوريا . ويدأبون في درس العلوم الفلسفية واللاهوتية بفروعها . وعلى هذا استقرت اذ ذاك المدرسة الرهبانية موحدةً في هذا المعهد الى ما شاء الله . وفي شهر ايار من السنة ١٩٥٥ الماضية ، قدم ستة من تلاميذه الذين انهوا دروسهم الفلسفية واللاهوتية وحصلوا في فحوصهم على الشهادة وهم الاباة : بولس مسعد وشربل القسيس وبطرس شلفون وفرنسيس الخازن وكيل القزي . وقد أسندت اليهم الرهبانية ادارة بعض مدارسها المخصصة للنشء اللبناني .

ثانياً : المدرسة الرهبانية في الخارج

بعد ان انهينا كلامنا عن المدرسة في داخل الاديار ، نأتي على ذكرها في الخارج لما له علاقة بموضوعنا هذا . في السنة ١٧٢٤ وهب المجمع المقدس رهبنتنا اللبنانية دير مار بطرس ومرسلينوس في رومية ، الذي انشأه البابا اكليمنضوس

حدي عشر (١٧١٧) وسمه ... جبرائيل حوا احد مؤسسي الرهبنة . وما صار هذا الاخير اسقفاً على جزيرة قبرس ، اعطى المجمع المقدس هذا الدير للرهبنة وامر ان يكون فيه اثني عشر راهباً يتلقنون العلوم السامية ويكونون تحت طاعة المجمع نفسه في ما يعهد اليهم من الاعمال باجازة رؤسائهم. فامتثلت الرهبانية الامر واخذت ترسل من الرهبان من فيهم الكفاءة والمؤهلات للمجاوبة على رعائب المجمع المقدس . وقد وضع البابا اكليمنضوس الثاني عشر قانوناً لتلك المدرسة في الدير المذكور ، يضمن راحة التلاميذ ونجاحهم في دروسهم توصلاً للغاية المشار اليها[1] . وكانت هذه المدرسة هي الاولى الموحدة في الرهبنة ، تخرج فيها عدد وافر من الآباء الذين خدموا الكنيسة والرهبنة والطائفة بمعارفهم .

ولما فتح الآباء اليسوعيون مدرستهم الاكليريكية في غزير وكان الرئيس العام على الرهبانية الاب سابا الماقوري من الراغبين في العلم ، ارسل الى المدرسة المذكورة عدداً من الرهبان ، وانضم اليهم بعد حين الاب مبارك سلامه المترجم[2] وبذلك كان الاب سابا الرئيس العام واضعاً حجر الزاوية في اساس النهضة العلمية في الرهبانية . وعندما نقلت المدرسة من غزير الى كلية القديس يوسف في بيروت بعهد رئاسة الاب مرتينوس سابا القسطاوي العامة كما مرّ انضم الى الاخوة الدارسين فيها عدد آخر ، منهم الآباء اسطفان صقر وبطرس عبود واخوه بولس عبود المحامي الكنسي المعروف . واغناطيوس لبوس ، ثم انطونيوس حرفوش وجبرائيل عضيمي ومخايل الحلو ابو شاهين ويوسف غصوب ولبياوس داغر وعبدالله عواد.

وكان الاب مبارك المترجم قد انهى دروسه واحرز شهادة الدكتوره في تلك المدرسة ، كما سبق القول واقيم استاذاً على الرهبان الدارسين في دير مار موسى الحبشي ؛ وقد رأى بعد الاختبار الطويل ان الرهبانية تسير سيراً بطيئاً في سلّم الثقافة : لان الذين يدرسون في الجامعة اليسوعية ، هم اقلّة ضئيلة وكثير منهم لا يتمكنون من اتمام دروسهم ، اما لعدم الكفاءة ، او لداعٍ صحي . وكان عدد الذين ينهون دروسهم ، يكاد يتجاوز عدد الاصابع ، اضف الى

١) لويس بليل تاريخ الرهبانية مجلد ١ ص ٥٧ و٥٨ و ٢٥٣

٢) عهد رئاسة الاب افرام جميع البشراوي العامة (١٨٦٢–١٨٧٤)

ذلك انهم كانوا داخليين لا يتسهل لهم القيام بواجباتهم الرهبانية كما ينبغي ، فضلاً عن النفقات الكثيرة التي كانت تبدل في سبيلهم .

وبينما هو يفكر في الطرق والوسائل سدّ هذه الثغرة ، وقلبه يتلهف غيرة على الناشئة الرهبانية وتربيتها الصحيحة بالعلم الكامل والفضيلة الراسخة ، اذا بالعناية الالهية التي جاءت به الى الرهبنة ووفقته في دروسه ، تواصل الاخذ بيده وتسير به الى الهدف السامي الذي يرمي اليه ، فاتحة امامه مجال العمل واسعاً . ففي الخامس عشر من شهر نيسان من السنة ١٨٩١ ، اصدر المجمع المقدس الشرقي امراً بتعيينه رئيساً عاماً على الرهبانية ؛ وهو لم يكن يفكر في هذه المباغتة وكانت الوظيفة في نظره خدمة للمصلحة العامة ، موقناً ان تلك هي ارادة الله فاستسلم لها بكل ما أوتيه من قوة ورغبة في العمل ، مستنداً اليها في الاطلاع بما يلقى على عاتقه من مسؤوليات خطيرة . واخذ يفكر في انشاء مدرسة في مدينة بيروت ، تكون تبعة لكلية القديس يوسف اليسوعية . يقيم فيها الرهبان الدارسون ويتابعون الصفوف في الكلية نفسها . وكان يشجعه على وضع فكرته هذه بالفعل المرحوم الاب جبرائيل اده اليسوعي الذي كان وقتئذٍ رئيساً لكلية القديس يوسف . فاشترى داراً مجاورة للكلية المذكورة ، هي دار السيد الياس مهاوش الماروني . بمبلغ الف ليرة فرنساوية ذهباً ، لاجل سكن الرهبان الدارسين واتفق وحضرة الآباء اليسوعيين على قبول عدد غير محدود من الرهبان لمتابعة دروسهم على ما ذكرناه ، بحيث يتسنى لهم اقامة نظامهم الرهباني وبعض صلواتهم الفرضية في مدرستهم حيث يقيمون . اما اعاشتهم ففرض الرئيس العام نفقاتها على خزينة الرئاسة العامة وعلى مساعدات من صناديق الاديار . ومنذ ذلك الحين اصبح هذا الترتيب سنة تسير عليها الرهبانية حتى ايامنا لاجل القيام بمعاش النشء الرهباني .

وفي خريف السنة ١٨٩٢ فتحت المدرسة الجديدة ابوابها لقبول عدد من الاخوة الدارسين ، منهم الاب انطونيوس عاريج (المدبر فيما بعد) والاب اجناديوس سركيس الذي رئس الرهبانية مدة من الكرسي الرسولي (١٩١٠—١٩١٣) . والاب مبارك ابو سليمان (المدبر) وغيرهم . وانضم اليهم الاخوة الذين كانوا سابقاً داخليين في الجامعة اليسوعية . واقام الرئيس العام رئيساً عليهم الاب

مدرسة اغناطيوس حيث حمل شهادة سنة وخمسة وثلاثين من المعهد اللاهوتي نفسه . وبعد مدة وكل الرئاسة الى الاب اقليمس سلامه ، ثم الى الاب جميل خليفه راشدا . وكان الرئيس العام نفسه يشرف على هؤلاء الرؤساء عن قرب. واخيرًا (١٨٩٣) اقام رئيساً شرعيًّ على المدرسة الاب اغناطيوس داغر التنوري الذي صار فيما بعد رئيساً عاماً (١٩١٣ – ١٩٢٩) على الرهبانية واشتهر بتقواه وغيرته وتجرده عن حطام الدنيا[1] .

وشرعت المدرسة تسير على محورها القانوني بتوالي الرؤساء عليها ومنهم كاتب هذه الاسطر (١٩١٩–١٩٢٩) الذي له الحظ بان يكون احد المتخرجين فيها . وقد استمرّت على خطتها هذه نصف جيل ونيف (١٨٩٣–١٩٥٠) . اخرجت ، ما عدا الذين لم يتمكنوا من متابعة دروسهم حتى النهاية ، وهم كثيرون ، جيلًا من الآباء الذين اتموا دروسهم وكانوا من المجتهدين الناجحين . ومنهم من فازوا بشهادة الدكتوره نخصّ منهم بالذكر المرحومين الابوين مرتينوس طربيه ومرتينوس حجيلي اللذين امتازا بدروسهما الفلسفية واللاهوتية وكانا موضوع اعجاب اساتذتهما . خدم الاول منهما الرهبانية وكيلًا عامًّا ورئيساً عامًّا (١٩١٤–١٩٣٨) السنين الطوال ، كان فيها مثال الغيرة والنشاط والتضحية ، وكان الثاني استاذًا للنشء الرهباني . يغدق عليه العلم من ينبوعه الغزير الصافي ، وعلى معارفه ومواهبه الكثيرة كانت تعلّق اكبر الآمال ، لو لم تفاجئه المنية في مقتبل العمر ، مدبرًا عامًّا في الرهبانية التي فقدت بهذين الابوين الفذّين رجلين من اعظم رجالها . على ان جميعهم قد تقلّبوا بوظائف الرهبانية وخدموها والطائفة والبلاد اصدق خدمة .

واسنا نبالغ اذا قلنا ان الفضل في النهضة العلمية في الرهبانية ، يرجع الى رجل العلم والفضيلة الاب مبارك سلامه . وبالكلمة الطيبة التي نجعلها ذيلًا لهذا المقال ، وهي لحضرة الاباتي باسيل غانم الرئيس العام سابقًا (١٩٣٨–١٩٤٤) خريج

---

١) وقد الف كتاب « خزانة الواعظين » وغيره من التأملات الروحية المفيدة . ولم يكن يلقى الا قارئًا او مصليًا . وهو الآن معتزل منذ سنين في صومعة بدير مار يوسف جربتا حيث ضريح امة الله الراهبة رفقا .

المعهد اللاهوتي الرسولي في الجامعة اليسوعية في بيروت ، قد القاها بمناسبة ذكرى الخمس والسبعين سنة لهذا المعهد ، ما يغني عن الزيادة .

اما ما اتاه الاب مبارك مدة رياسته العامة (١٨٩١–١٨٩٥) ، سنقتصر فيه على النواحي الثلاث التي حصر فيها جهوده بهذه الحقبة القصيرة ، اي الناحية الروحية والادبية والمادية . واول ما وجه اليه اهتمامه ، توحيد الابتدا والمدرسة وهما اساس النهضة التي كان يرمي اليها . فخصص دير مار موسى الحبشي للمبتدئين ودير مار قبريانوس كفيفان للرهبان الدارسين وجعله فرعاً او مدرسة اعدادية لمدرسة مار انطونيوس التابعة لجامعة القديس يوسف في بيروت . فمن كان من الدارسين مستعداً واهلاً لتحصيل العلوم العالية ، ارسله الى هذه المدرسة . وأسند ادارة المدرسة في دير كفيفان الى الاب اسطفان صفر البتاعلي المار ذكره . وكان هو بنفسه اي الرئيس العام يتعهد المدرستين المذكورتين ويوفر للاخوة الدارسين فيها جميع الوسائل لرقيهم العلمي والروحي . وكان حريصاً كل الحرص على حفظ القوانين والنذور الرهبانية ولا سيما نذر الفقر . ويشدد في حفظ العيشة المشتركة بين الجماهير في الاديار والتدقيق في الواجبات الروحية باتقان التأمل اليومي واقامة صلاة الحورس في الاديار الجامعة . ويبعث روح المحبة والالفة في قلوب الجميع . ولم يكن يكتفي بالتحريض والارشاد ، بل كان هو في الطليعة امام الجماهير بحفظ القوانين وقيام النظام ومكافحة البطالة موجباً على كل فرد رئيساً ومرؤوساً القيام بوظيفته . يعامل الجميع بروح الابوة والمحبة وكالرئيس الحكيم يعرف ان يجمع بين اللين والشدة بحسب مقتضى الظروف وحالة الاشخاص . وما عتم ان اكتسب ثقة مرؤوسيه بما تحلى به من وداعة وتجرد واخلاص في الخدمة . اذ كان يعتبر الوظيفة خدمة للجمهور عملاً بما قال الرب : «لم يأتِ ابن البشر ليُخدم بل ليَخدُم» (مرقس ١٠:٤٥) ورأى من اللازم تجديد وظيفة المعاملة التي كانت اهملت مدة طويلة فاسندها الى من فيهم الكفاءة ليكونوا معاونين له في الادارة العامة مع المديرين . وكان يشدد في تمكين وظيفة القيم العام وقيم الدير واخذ حسابات الاديار من دخل وخرج ، ضبطاً لمالية الرهبانية وتحسيناً لاقتصادياتها .

وبعد مضي ثمانية عشر شهراً على تعيينه رئيساً عاماً باسر الكرسي الرسولي،

عن موعد المجمع العام في العشر من شهر تشرين الثاني ١٨٩٢ ، فانعقد المجمع في دير سيدة النصر — نسيبه برئاسة البطريرك يوحنا الحاج وعلى رغم المقاومات الخارجية ، انتخبه آباء المجمع بالاكثرية الساحقة ، فتجددت له الرئاسة العامة لثقة الجماهير به ، لما كان يبذله من الجهد والمفاداة في مصلحة الرهبانية ونهضتها.

ولم يكن ذلك الا ليزيده قوة واقداماً على العمل والسير بخطته المثلى ، مستنداً على ذراع العناية الالهية ، لا تلوي عزيمته مصاعب او متاعب . وفي السنة ١٨٩٣ ذهب كعضو في الوفد البطريركي الماروني الى اورشليم لاجل الاشتراك في المجمع القرباني المنعقد فيها . ومن هناك استأنف السفر مع الوفد الذي كان يرئسه المطران الياس الحويك (البطريرك) ، الى رومية حيث حظي بشرف المثول امام البابا لاون الثالث عشر كما نال الحظوى لدى المجمع المقدس. وبهذه المناسبة اقترح عليه المطران الياس ان يسأل من المجمع شيئاً فاجاب : « اني لا اريد شيئاً مادياً ، انما التمس من عطف قداسته ورعاية المجمع السماح بارجاع الآباء الذين ، لاسباب سياسية ، أخرجوا من الرهبانية » فجذب المطران رأيه واكبر طلبه الدال على عزة في النفس وشفقة ومحبة لابناء رهبانيته .

فاستجيب طلبه ولدى عودته الى لبنان ، هم حالاً بارجاع الاخوين افرام جمجم البشراوي ومخايل غوش التنوري ، الذي عندما كلفوه نزع ثوبه الرهباني ، أبى ومانع بكل قواه واستمر لاباً اسكيمه قائماً بجميع واجباته الرهبانية ، معتزلاً في بيته مدة سنوات . اما الاب افرام جمجم الذي كان رئيساً عاماً[1] من السنة ١٨٦٢ الى ١٨٧٥ ، مدة اثني عشرة سنة ، كانوا قد انتزعوا ثوبه واسكيمه بالقوة ، لكنهم لم يقووا على انتزاع روحه الرهباني وما كان عليه من تقوى راسخة . فاستمر معتصماً بالصبر سنوات ، متعبداً لسيدتنا مريم العذراء ، يسألها ألا تميته خارج الرهبانية ولو بقي من حياته بضعة ايام . فاستجابت البتول سؤله. وعندما اتاه الرئيس العام الاب مبارك ، ببشرى حصوله على النعمة التي طلبها ، قامت بشراي مدينة المقدمين تهنئه وتشكر الرئيس العام صنيعه وتحفظ له عرفان الجميل . وقد استقبله البشراويون بابهى مظاهر البهجة . « بالعراضة »

---

١) كان محباً للعلم وهو الذي ارسل عدداً من الرهبان الى مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير ومن جملتهم الاب مبارك سلامه المترجم

والاهازيج اللبنانية ، على رغم رفضه ذلك . وأبوا الا ان يصحبوه هو والاب افرام ابن بلدتهم الأبرّ ، الى دير قزحيا حيث اقام الاب افرام بفضل الشكر لله تعالى ولابيه القديس انطونيوس . على نعمة رجوعه الى حضن امه الرهبانية. وبحسب طلبه من والدة الله ، خازنة النعم . لم يلبث سوى بضعة ايام . اذ توفاه الله بميتة صالحة بين اخوته الرهبان ، مزوداً الاسرار المقدسة ، مستودعاً روحه بين يدي امه العذراء التي تعبد لها كل حياته .

ومع الاهتمام الدائم بالامور الروحية كان الرئيس العام يوجه عناية خاصة بالشؤون المادية : من تحسين الاملاك واجراء اصلاحات هامة في الاديار كدير طاميش مقرّ الرئاسة العامة آنذاك وتجديد دير سيدة ميفوق على هندسة عصرية كما هو الآن . وانشاء دير مار يوحنا مارون قرب قرية قنبع وشراء املاك له وتأسيس دير مار مارون القنيطرة قرب بيت شباب لسكنى الراهبات اللبنانيات القانونيات وغير ذلك من الانشاءات الضرورية .

وعلى رغم انشغاله بالمهام الرهبانية الكثيرة ، لم يكن ينفك عن عمل الرسالة بالقاء الرياضات والمواعظ لدى سنوح الفرصة ويحرض الرهبان على القيام بهذا الواجب المقدس ويوجه بهم الى المدن والقرى حيثما يلزم. وظل مثابراً على خطته هذه المثلى في الداخل والخارج ، الى ان حان وقت انعقاد المجمع العام ١٨٩٥ ولولا ظروف قاهرة لتجددت له الرئاسة العامة واستمرّ قائماً بالنهضة الرهبانية على احسن وجه الى ما شاء الله !

بعد تنزله عن الرئاسة عهد اليه المطران يوسف الدبس بادارة مدرسة الحكمة ردحاً من الزمان . ثم أقيم استاذاً للاهوت للرهبان الانطونيين الدارسين في دير مار اشعيا بعهد الرئيس العام الاباتي عمانويل البعبداتي . وقد انتدبه المثلث الرحمة البطريرك الياس الحويك الى زيارة راهباته بنات العيلة المقدسة المارونيات وان يكون مرشداً لهنّ غير عادي .

وفي السنة ١٩١٠ تعين من المجمع المقدس بواسطة الزيارة الرسولية رئيساً للمدرسة الرهبانية في دير سيدة النصر - نسبيه - غوسطا . وبعدها رئيساً على الاخوة الدارسين في جامعة القديس يوسف في بيروت والمقيمين في مدرسة مار انطونيوس التي انشأها وجعلها تابعة للجامعة المذكورة كما مرّ . وبعد ذلك

اسندت اليه رئاسة المعاملة في دير سيدة . وفي جميع الوظائف التي تقلب فيها كان مثالاً امام الجميع ، لم يكن ليتلكأ عن واجب او خدمة ، على رغم الشيخوخة والمرض . يسير كالحمل بتواضعه ووداعته مع اخوته الرهبان ولا سيما الاخوة الدارسين الذين كان يطيب له الاجتماع بهم والاهتمام بشؤونهم وهم يحفظون له مع عرفان الجميل ، كل محبة واحترام . يلتفون حول شخصه الوقور ايما وجدوه ، كالابناء الاعزاء حول ابيهم الشيخ الجليل الذي كان يجمع الى وداعة الحمل ، شجاعة الاسد في الدفاع عن الحق وعن القيام بالواجب واصلاح الخلل لدى الاقتضاء. وما كان ليهاب احداً في دفع ما يضرّ بمصلحة الرهبانية او يمس بسمعتها .

وما زال متعاطياً اعمال الرئاسة ، تحت عبء الشيخوخة وداء السكري ، الى ان دعاه في صيف السنة ١٩٢١ ، المرحوم الخوراسقف الياس الزيناتي لتسوية خلاف بين اهالي بحرصاف وبعد بذل الجهد والنصح والارشاد توصل الى مصافاتهم والتفاهم مع الكاهن خادم رعيتهم . وكان ذلك بمناسبة عيد قطع رأس القديس يوحنا المعمدان في ٢٩ آب من السنة نفسها ، وبعد ان احتفل بالذبيحة الالهية والقى عظة في المحبة وسمع اعترافات الكثيرين ، انهكه التعب وثقل عليه المرض ، فخرّ صريعاً في حومة الجهاد ، شهيد غيرته الرسولية. وبات يعارك سكرات النزع بضعة ايام . واذ كنت واقفاً قرب سريره اقرأ له بعض عبارات من كتاب الاقتداء بالمسيح ، اشار بيده ، وهو بين الوعي والغيبوبة ، وقال : « اقرأ لي عن آلام المسيح » فاخذت باشارته واجبته على رغبته . وكان متعزياً مستلماً لارادة الله شاركاً آلامه مع آلام الفادي الالهي. وكان لاشارته تلك سببا ، اذ تبين بعد وفاته انه قد دوّن في يومياته هذه الملاحظة اخذاً عن القديس توما : « ان احسن والجع وسيلة في ساعة الموت ، التأمل بآلام المسيح » . وبينما هو غائص في بحر هذا التأمل ، مشرق الوجه ثبت الجنان لفظ النفس الاخير ، مزوداً جميع الاسرار المقدسة . في الثامن من شهر ايلول ١٩٢١ يوم عيد ميلاد العذراء التي كان متعبداً لها ، لذلك شاءت ان يكون يوم ميلادها يوم مولده في السماء للسعادة الابدية بقرب هذه الام الحنون .

ونقل جثمانه الى دير مار موسى الحبشي حيث كان مقبراً . وأقيم له مأتم

حافل رئس الصلاة فيه المطران بولس عواد مطران الابرشية والمطران اغناطيوس مبارك مطران بيروت وعدد وافر من رؤساء الاديار المجاورة ومنهم الاباء اليسوعيون من بكفيا والكبوشيون من بعبدات وكان جمهور غفير من المشايخ والوجهاء والشعب . وقد رثاه الرئيس العام الاب اغناطيوس داغر ، تلميذه وموضع ثقته ، مبيناً عظم الخسارة بفقده . وقبل ان يوارى في الضريح ودّعه صديقه المغفور له الاستاذ نعوم لبكي بكلمة بليغة مؤثرة دلت على ما كان له من محبة ومكانة في القلوب .

ومن آثار قلمه ترجمة كتب عديدة فرنساوية فريدة في بابها . منها ما ظهر مطبوعاً ككتاب « دستور الرؤساء لـلاب ڤالوي اليسوعي . « ودستور الحياة الروحية » . ومنها مخطوط « مختصر اللاهوت الاعتقادي » ثلاثة اجزاء وكتاب « الفضائل الرهبانيـة » ، ملخص عن كتاب الكمال المسيحي للاب الفونس رودريكوس اليسوعي وكان شارعاً بنشرها يوم فاجأته المنية .

واليك الكلمة التي اشرنا اليها بعرض كلامنا ، نجعلها مسك الختام لما لها من علاقة بهذا المقال . قد دعي الى القائها حضرة الاباتي باسيل غانم رئيس الرهبانية العام سابقاً والنائب الاستقفي حالياً في زحله . وهو من خريجي المعهد اللاهوتي الرسولي في جامعة القديس يوسف في بيروت . وذلك بمناسبة الذكرى الخامسة والسبعين للمعهد المذكور التي اقيمت في ٢٥ شباط ١٩٥٦

قال تحت هذا العنوان : « كلمة الرهبانية اللبنانية » :

« ارى من واجبي ، وانا ابن الرهبانية اللبنانية ورئيسها العام لسنوات خلون واحد خريجي المعهد ، العارف باحداث الرهبانية والملمّ بتاريخها والمطّلع على مراحل نهضتها العلمية والاصلاحية ان اكون في مقدمة المقرّين بجميل المعهد اللاهوتي الرسولي ، التابع لجامعة القديس يوسف الذي نعيّد اليوم عيده الماسي .

كان للرهبانية من يوم أنشئت اكليريكية القديس فرنسيس كسفاريوس في جامعة الآباء اليسوعيين ، ثلاثة مقاعد فقط يشغلها ثلاثة من ابناء الرهبانية تضيفهم الجامعة وتطعمهم وتعلمهم وتربيهم وتثقفهم ؛ وكان بينهم ، في ذلك الزمن ، أخٌ نابه اسمه الاخ مبارك سلامه المتيني تفوق بدروسه فكان اول من حمل شهادة المعهد اللاهوتي العليا بعد ان جعل المعهد اللاهوتي معهداً رسولياً المثلث الرحمة ، الحبر الاعظم ، البابا لاوون الثالث عشر .

فخرج [illegible] شاباً مندفعاً من [illegible] و[illegible] و[illegible] [illegible] [illegible] وقد شغل عجزة وراح يجيد دور مواعظه في مدرسة رهبانية ويقوّم ما تأوّد من شؤونها ويشرف على أساتذة الرهبانية سادئ العلم الصحيح ، ويحث الرهبان الشبان على حسن المطالعة والتعمق في الدرس والتفتح على حركة العلم والثقافة ويدرّبهم على اختيار كتبها ويعلّمهم الردّ على غثّها . فكان كأنه النار تحمّص ما هو ذهب وتحرق ما هو هشيم . وطارت له شهرة واسعة بالفضيلة والعلم وحسن الادارة فيعيّنه الكرسي الرسولي رئيساً عاماً على الرهبانية فاتّسع حقل رسالته وعكف يدرس شؤون الرهبانية : يشجّع ويقوّم ويصلح ويهذّب ويثقّف ، ولما رأى الحاجة ماسّة الى رجال علم في اللغات والآداب والفلسفة واللاهوت والى رجال فضيلة ابتاع بيتاً يجاور كلية الآباء اليسوعيين واتفق ورؤساء الكلية ان يبدلوا له الثلاثة المقاعد الداخلية باثني عشرة مقعداً خارجياً . فرحّب الآباء اليسوعيون بفكرة تلميذهم وأمّلوه ما ابتغى ، فجهّز البيت واختار اثني عشر راهباً ناشئاً ممّن شاع فيهم ذكاء واستعداداً لاستيعاب العلوم العالية وأرسلهم الى بيروت ليتابعوا الدروس في كلية القديس يوسف فقامت القيامة على حرأته من الداخل والخارج ونقد بشروءه كبار الطائفة وعدّوا صنيعه خروجاً على تقاليد الرهبانية . فلم يأبه الرئيس المقدام للمعاكسات ولم يبأ بالاشواك تنصب له ولم يجبن امام الصعاب وما زال يجاهد حتى أتحف الرهبانية بكوكبة من الفرسان ، فرسان الفضيلة والعلم ، فرسان التضحية والقلم فكان للرهبانية علماء اعلام منهم : المرحوم الاب اغناطيوس ليّوس والاب انطونيوس حرفوش والاب مبارك ابي سليمان والاب اسطفان متاعل والاب مخايل ابي شاهين المالو والاب مرتينوس طربيه والاب اجناديوس سركيس والاب يوحنا العنداري والاب بطرس ساره والاب طوبيا عون من الآباء القدماء الذين اذا ما ذكرت الفضائل الرهبانية والكهنوتية وتُحدث عن العلم النافع ، العلم المتواضع ، العلم النافع ، العلم المضحّي أشير اليهم بالبنان فمنهم من علّم ومنهم من ألّف ومنهم من وعظ ومنهم من ربّى وثقف ومنهم من ألقت اليه الرهبانية بزمام الحكم والادارة فيها فحلّوا في كل ما حملوا وتفخروا في الرهبانية روحاً جديدة روحاً لا عهد لها به

فالى المثلث الرحمة الاب مبارك سلامه المتيني ، تلميذ هذا المعهد الرسولي واول من حمل شهادته العليا يعود الفضل الاول في النهضة العلمية الرهبانية السائرة قدماً في طريق الكمال

لقد كان مثلاً حيّاً للرهبانية بالفضائل الانجيلية والاكباب على العمل والتأليف والوعظ والارشاد والدقة في حفظ القوانين والامانة الصارمة للرسوم . ولقد حدا حذوه ابناؤه الذين علّمهم وثقّفهم فألفوا الكتب الروحية والفلسفية واللاهوتية والادبية ايضاً وعلّموا ودرّبوا وثقفوا وعطروا أجواء لبنان بأريج فضائلهم العطرة ورفعوا شأن اسم الرهبانية وأعلوا قيمة الفضيلة بحياتهم المثلى وامانتهم لواجبات دعوتهم الرهبانية والكهنوتية .

فالرهبانية اللبنانية مدينة اذن بنهضتها الى آباء هذا المعهد الرسولي الذين عرفوا ان يبذروا في نفوس تلاميذهم الرهبان هذه البذور الخيّرة ويتعهدوها بامثلتهم الحية وارشاداتهم الحكيمة فنبت الزرع وصار عشباً ثم سنبلاً ثم قمحاً ابريزاً خزنته الرهبانية في اهرائها وراحت تطعمه ونطعمه خبزاً طيباً للنفوس وللنفوس في الزمن الموآتي .

لذلك جئت اليوم أسبّح وانتفي بما لهذا المعهد علينا من ايادٍ بيضاء وأقرّ بما له قبل الرهبانية اللبنانية من خدمات واترحّم على اولئك الآباء اليسوعيين الذين دبّوا آباءنا وثقفوهم واشكر لهم صنيعهم الينا . اذ لولا هذا المعهد ولولاهم لكنا ، على ما اعتقد ، في مؤخرة الركب ، في هذا العصر ، عصر العلم والنور ، او لكان من الصعب جداً على رؤساء الرهبانية ان يعطوا الكنيسة ولبنان ما أعطوا من عقول مفكرة واقلام جريئة ومؤلفات قيمة وغيرة فادية ومحبة بنّاءة وفضيلة حقة .

فتفضلوا ، ايها الاب الجليل الفاضل ، عميد المعهد اللاهوتي واقبلوا ، بواسطتي ، شكر الرهبانية على ما أسديت اليها جميتكم المباركة من خدمات واتقبلوا لحضرة الآباء رؤسائكم امتنان تلاميذكم الرهبان اللبنانيين ، الاموات منهم والاحياء ، فكلنا يعرفان جميلكم ونعظم تضحياتكم والاشادة بافضالكم علينا سواء .

لا زال معهدكم اللاهوتي الرسولي ، كما كان دوماً ، منارة ترسل اشعتها واضواءها الى جميع نواحي لبنان والى جميع اصقاع الشرق يغني على انوارها المتكدسون في دياجير هذا العصر المادي فيأمنون الاخطار ويتّقون الاصطدام بحجارة العثار .

لا زال معهدكم معملاً يصوغ الرجال فيخرجون منه كهنة يحملون بين ايديهم الانجيل وفي قلوبهم الله يبشرون بذاك ويعلون هذا في مقامه الاصيل ، المقام الاول فيرجعون الناس الى الله والى مسيحه او يعيدون الله ومسيحه الى الناس ؛ يعملون ويكافحون ويحاربون تحت علم الكنيسة ، المقدسة ، الرومانية ، عالم الصليب والفداء ليساهموا في توسيع ملك المسيح ، مع البابا ووفقاً لتوجيهات البابا ايّاً كان الاسم الذي يحمل . كان الله معهم جميعاً !!